

{وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه}

{وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره كذلك زين

للمسرفين ما كانوا يعملون} [يونس: 12]

إن النفوس البشرية يعتمل فيها الخوف والهلع عند مس الضر لها، وقد كشف القرآن ببيانه الدقيق كوامن النفس البشرية تجاه ذلك، فقال المولى عز وجل : {وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون} [يونس: 12]

فأدنى مس من الضر، فضلاً عن الإصابة المتمكنة؛ تجعل النفس البشرية تهرع وتهلع؛ فتعرف أن لها ربا، فتلهج بالدعاء (دعانا لجنبه)، ويكون الضر معروفاً لديها (الضر) تعاني منه وتعايشه.

وهنا رتب البيان القرآني حالات الإنسان في ذلك، متدرجا في مقامات الضر {لِجَنْبِهِ} أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا وهي مقامات ضعف تغاير مقامات الدعاء في حالة السلامة إذ قال: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُبْخِنَنَا فَبِمَا خَلَقْنَا نَقْتَرُ} [سورة آل عمران 191].

{فَإِذَا فَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ} [النساء: 103]

ولما كان الدعاء في مقام الضر، فقد عرفه تارة (الضر) وأضافه إليه (ضره)، ونكره تارة أخرى (ضر)، وتلك مراحل الضر التي عايشها في نفسه، ومعلق منها في ذاكرته، فهو عند ملامسة الضر له قد عرفه؛ فهو في حالة تضرع ودعاء، ولما كشف الله عنه الضر أصبح حديث عهد به في ذاكرته، فحسن تعريفه بإضافته إليه (ضره)، ثم عندما تباعد عهده به نسيه، وتناساه مع مرور الزمان، فنسي بنسيانه إياه فضل من ناداه ودعاه؛ فأصبح الضر نكرة في المقال وواقع الحال (مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضَرِّ مَسْئَةٍ).